نظرة عن سدراته المدينة الغامضة
في تاريخ الفن الإسلامي بالجزائر

An Overview of Sedrata: the Enigmatic City in the History of Islamic Art in Algeria

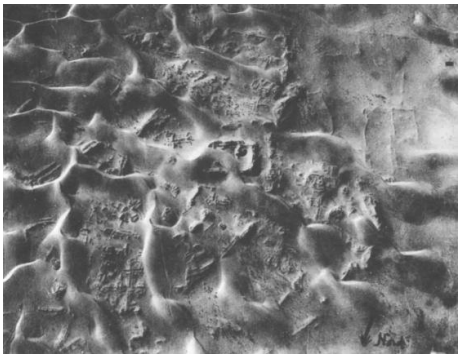
أ.د./ راجعي زكية
معهد الآثار، جامعة الجزائر 2
البريد الالكتروني: zakia.radjai@univ-alger2.dz

الملخص:
تتمثل هذه الدراسة في إلقاء نظرة على المعالم الأثرية التي عثر عليها في مدينة سدراتة خلال الحفريات التي أقيمت فيه خلال القرن الماضي على يدي أجانب، وهذا لإعادة إحياء هذه الآثار التي تشكل لغزا بالنسبة للباحثين، الذين إلى حد الآن لم يستطيعوا تأريخها ولا معرفة الأسباب التي أدت إلى اندثارها واختفت تحت الرمال إذ تمتد على مسافة 2كلم.
الكلمات المفتاحية: سدراتة، حفريات، الزخارف الجصية، المسجد.

Abstract:
This study aims to examine the archaeological monuments discovered in the city of Sedrata during the excavations conducted there over the course of the last century by foreign researchers. The objective is to shed light on and revitalize these monuments, which remain enigmatic for scholars, as they have not yet been accurately dated, nor have the reasons behind the city's decline and disappearance beneath the sand been clearly identified, despite the site extending over a distance of approximately 2 km.
Keywords: Sedrata, Excavations, Stucco Decoration, Mosque.

الموقع (الصورة الجوية 01):

تبعد أطلال مدينة سدراته عن مدينة ورقلة في اتجاه جنوب-غرب ببضعة كيلومترات، والتي تبعد بدورها عن الجزائر العاصمة بحوالي 800كلم، وهي مدينة شيدت مبانيها بالقرب من مصب وادي ماية الممتد من جنوب-غرب جبل العباد إلى قارة كريمة جنوبا، وإلى حوالي 20كلم شمال مدينة ورقلة، ويعتبر وادي ماية من الموارد المائية الرئيسية التي كانت تزود المنطقة آنذاك، وهو ما ساعد على استقرار مجموعات بشرية بها منذ أزمنة غابرة.



الصورة الجوية 01: منظر جوي لآثار سدراتة. عن: VAN BERCHEM, M., 1954, Pl. 01.

تتربع المدينة على مساحة تقدر بحوالي 2كلم في اتجاه شمال-غرب، جنوب-شرق، تشغل مبانيها مجموعة من التلال يتراوح ارتفاعها ما بين 140.99م إلى 150.10م، يحيط بها من الجهة الجنوبية والجنوبية-الغربية سلسلة من الجبال أو ما تعرف محليا باسم قارة أشهرها قارة كريمة وجبل العباد. وتعد هذه الجبال بمنزل شريط دفاعي يحيط بأغلب جهات المدينة، كما يعد بمنزل ملاجئ يحتمي بها السكان من غارات الأعداء، ونظرا لاستواء سطوحها وصعوبة مسالكها وارتفاعها الشامخ من جهة، واحتوائها على أهم عنصر للحياة وهو الماء مثلما كان بقارة كريمة[1].

تاريخ المدينة:

خلال القرن الثالث الهجري (3هـ/9م) ظهرت أسر تحكم بلاد المغرب مستقلة عن سيطر العباسيين، ولم يكن ظهورها إلا مؤقتا بحيث لم يدم طويلا، وكانت هذه الدويلات تجمع بين العناصر المحلية (البربرية) والعناصر الوافدة من المشرق، ومن بين هذه الدول مدينة تاهرت[2] التي أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 144هـ/761م. وذلك بعد أن خرج من القيروان التي كان يتولاها نيابة عن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، تجنبا للاشتباكات مع قوات العباسيين بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، فلجأ إلى هذه المنطقة وأقام مدينته المذكورة. وبايعته القبائل بالإمامة وبذلك أسس دولة بني رستم الإباضية في المغرب الأوسط. ولم تلبث دولة الرستميين أن سقطت في أيدي الفاطميين في سنة 296هـ/908م، فخرج الإباضيون فارين إلى الصحراء وأقاموا بالقرب من ورقلة الحالية مدينة سدراته أو اصدراتن[3].

شهدت هذه المدينة فترة ازدهار بين القرنين الرابع والخامس الهجريين (10م و11م)، ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ خربت في حوالي سنة 470هـ/1077م على يد أمير قلعة بني حماد فهاجرها سكانها، ويعتقد أن أن هجرة تلك الجماعات منذ وقت مبكر (أي خلال القرن 5هـ) كان سببها انتشار البدو وقطاع الطرق وانحراف سكانها عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وخاصة بعد موت أبي صالح جنون، وكذا كثرة

1- BOUROUIBA, R., 1972, pp. 5,7.
2- MARCAIS, G.; LAMARE, D., 1946, pp. 24-57.
3- SALADIN, H., 1907, pp. 231, 234.

القلائل والفتن التي أضحت تفتك بالمنطقة جلها وتهدد استقرارها، ويبدو أن هذه الفترة تزامنت ودخول المنصور الحمادي (481هـ-498هـ/1088م-1104م) إلى المنطقة وتخريبها أثناء حملته الموجهة لمعاقبة الزناتيين بوادي ريغ وورقلة. في حين يرى ابن خلدون أن المنطقة لم تتعرض إلى هجوم شنيع من قبل الحماديين بالشكل الذي يؤدي إلى انهيارها وهجرة سكانها، بل العكس فلقد عين عليها حاكما يدير شؤونها[4].

ومن المعتقد أنها استمرت أكثر من هذه الفترة فيذكر هارود طاري أنه استطاع الحصول على مخطوط من ورقلة جاء فيه أن المدينة اندثرت سنة 1274م من طرف قائد مجهول يدعى منصور المشرق. هذا الأخير وصل رفقة جيشه إلى سدراته واستقر بها 35 يوما قام أثنائها بهدم العين التي كانت تسقي المدينة ومزارعها، فرعب أهل المدينة وفروا إلى ناحية التلال الرملية، أي بضع مراحل جنوبي سدراته، وعندما رجعوا إلى منازلهم وجدوها مهدومة ويضيف صاحب كتاب العدواني أن سدراته تم تخريبها من طرف الخليفة الموحدي المنصور مرتين على التوالي، ولم يغادرها في المرة الثانية إلا بعد أن حولها إلى صحراء قاحلة. ويذكر ابن خلدون أن تخريب المدينة كان على يد بني غانية ما بين 1224م-1227م، لأن المنطقة على حد قوله- كانت كلها من الموالين للدولة الموحدية وكان عاملهم يقطن بالزاب آنذاك.

وحسبما يبدو فإن الأحداث التي مرت بها مدينة سدراته لم تكن لتؤدي إلى زوال المدينة وهجرتها فالمتمعن جيدا لأنقاضها وما أسفرت عنه نتائج الحفريات السابقة يلاحظ أن آثار التخريب لا تظهر بالدرجة التي تناقلتها المصادر أو المراجع، بل نعتقد أنه وصف مبالغ فيه، لأن الحياة العلمية تواصلت بسدراته حتى بعد التواريخ سالفة الذكر، يشهد عليها أسماء الأعلام المنتسبين إليها، ولذلك فإننا نرى أن من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هجرة المدينة العوامل الطبيعية، فلقد قلت الموارد المائية والنباتية وحلت محلها العواصف الرملية، ولذا أصبح من الصعب على الإنسان العيش هناك[5].

أما بالنسبة لتسميتها فإنه من المرجح جدا أن تكون قد اشتقت من قبيلة سدراته البربرية وفي هذا الصدد يذكر الشيخ أعزام أن بلاد سدراته منسوبة إلى شعب من شعوب البربر من بطون زناتة، وهي بلاد كثيرة يسكنها معتنقو المذهب الإباضي القديم، ولم يرتحلوا عنها إلا بعدما خربها يحي بن اسحاق الميروقي المعروف بابن غانية سنة 624هـ عند ثورته على الأمير بن المنصور أحد أمراء الموحدين كما كان بيان ذلك في محله، وبقيت البلاد إلى الآن خرابة[6].

تاريخ الحفريات:

شكلت مدينة سدراته محور اهتمام عدد من الباحثين والرحالة الأجانب منذ نهاية القرن 19م إلى يومنا هذا. وتمثل هذا الاهتمام في جوانب عدة منها البحث عن تاريخ نشأتها من خلال المصادر والروايات

4- VAN BERCHEM, M., 1954, pp. 157-159.

5- حملاوي، علي، 2001م، عن: https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6480

6- إبراهيم بن صالح بابا حمو اعزام، 2013م.

الشفوية بالمنطقة، مثل ما فعل هنري ديفيري (1859م-1861م) وشارل فيرو (1871م-1873م) أو التركيز على معالمها الأثرية البارزة ووصفها وصفا سطحيا مثلما فعل لوديفيك فيا وفكتور لارجو (1872م-1879م)، وأخيرا محاولة إجراء تنقيبات أثرية من أجزاء المدينة كما فعل هـ. طاري وب. بلانشي والمهندس فوشير ومارغريت فان برشم.

وقد كان لهذه العمليات الأخيرة التي شهدتها سدراتة دور كبير في إخراجها إلى النور وإبراز أهميتها من الناحية الأثرية خاصة لما أسفرت عنه من نتائج، رغم قلتها فهي تعد جد مهمة مكنتنا من التزود والإطلاع على بعض الجوانب الخفية للمدينة المعمارية منها والفنية[7].

والسبب في ندرة الدراسات حول مدينة سدراته يكمن في موقعها الصعب المنال من جهة، وما يتطلبه من إمكانيات مادية وبشرية جد ضخمة من جهة أخرى، بالإضافة إلى ذلك فإن الإهمال الذي عرفته المدينة طوال سنوات عدة أدى إلى إبقائها عرضة لمجموعة من العوامل تفعل بها ما تشاء، فالزوابع الرملية العنيفة التي غالبا ما تعرفها مناطق الجنوب خلال فصل الربيع ما فتئت أن تزيد من زحف الرمال وعلو كثبانها وتغيير وضعيتها باستمرار. علاوة على ذلك، فإن الزيارات المكثفة التي كان ومازال يقوم بها فئات مختلفة من المجتمع إلى أطلال المدينة، عن قصد أو غير قصد، أضحت هي الأخرى خطرا يهدد معالمها.

كل هذه الأسباب أدت بطبيعة الحال إلى طمس جزء من منشآت المدينة أحيانا وكشف جزء آخر أحيانا كما انجر عنها انهيار المباني المكتشفة بفعل التغيير الفجائي بين الحرارة ووطأة المتجولين.

المعالم الأثرية المكتشفة:

شهدت مدينة سدراته عدة تنقيبات أثرية إلا أن ما يؤخذ على البعض منه أنها لم تبلغ المستوى المطلوب من حيث التنظيم والمنهجية العلمية المتبعة في تقنيات الحفر؛ وأهم المعالم التي تم إكتشافها:

المسجد: إن معظم الباحثين الذين تعاقبوا على مدينة سدراته لم يتعرضوا بطريقة علمية إلى مسجد المدينة، بل اكتفوا بالإشارة بطريقة عرضية، ووصفوه وصفا يكاد يكون سطحيا وفي مقدمة هؤلاء الباحثين نذكر فكتور لارجو الذي زار المدينة سنة 1877م وتعرف على أحد مساجدها وهو في حالة جيدة من الحفظ، ويقول لارجو بشأن هذا المبنى: يوجد بجنوب المدينة المندثرة بقايا لمسجد مستطيل الشكل تبلغ مقاساته 23م×18م وينقسم إلى قسمين من جهة العرض، تقدر مقاسات الجزء الأول حوالي 10م. أما القسم الثاني فيبلغ 13م، وقد كان هذا الجزء الأخير مبلطا ومرتفعا نوعا ما عن الأول، ونلاحظ به بقايا أحواض محفورة في الأرض يتم تزويدها بالمياه بواسطة قناة تخرج من إحدى زوايا الجدار، وهي في حالة جيدة، كما عثر لارجو بهذا المبنى على جزء طنف من الجص تحليه زخارف نباتية تشبه الأرابسك. أما هارولد طاري الذي يعتبر أول باحث قام بحفرية حول أنقاض بعض المعالم من المدينة سنة 1881م، فقد استطاع حسب قوله أن يزيل التراب عن كامل المحيط الداخلي للمسجد، كما يشير طاري إلى أن المسجد

[7]- AILLET, C., 2016.

كان يحتوي على مدرسة قرآنية تحليها زخارف كتابية هي الأخرى، ويصف بول بلانشي 1898م المسجد بأنه قاعة مربعة الشكل مغطاة بحوالي 20 قبوا تقوم على 16 دعامة، زينت جدرانه بأبواب وهمية ونوافذ تحلي أطرافها زخارف هندسية بسيطة[8].

وتعتبر الحفرية التي قام بها المهندس فوشير ما بين 1943م و1944م من أهم التنقيبات التي جرت حول المسجد فلقد استطاع هذا الباحث إزاحة الرمال عن محيطه باستثناء الزوايا الجنوبية للمبنى حيث تمكن من الوصول إلى أرضية قاعة صغيرة يبلغ ارتفاعها حوالي 4.43م ومغطاة بقبو، ولقد وضع فوشير مخططا ورسوما توضيحيا لهذا المعلم ولكن هذه الوثائق لم تنشر بل بقيت حبيسة الأدراج.

أما بالنسبة للباحثة مارغريت فان برشم فقد وقفت هي الأخرى على أطلال هذا المنشأ وحاولت أخذ المقاسات لبعض أجزائه.



الصورة 01: آثار سدراتة (دعامات). عن: حملاوي، علي، 2001م.

وينطبق وصفها على مبنى تم اكتشافه سنة 1997م من قبل فرقة معهد الآثار (جامعة الجزائر) والذي يعتقد أنه هو المسجد الذي تحدث عنه الباحثون السالف الذكر فلقد تمكنت الفرقة آنذاك من إزالة الرمال من المحيط الداخلي لمنشأ يقع في الجهة الغربية وبعض العناصر المعمارية كالسلم والأقواس المطلة على الصحن والدعامات (**الصورة 01**) والغرفة المرفقة له، يحيط بهذا المعلم مجموعة من المباني لا يظهر منها سوى الأجزاء العلوية للجدران (**الصورة 02**) أو حلت محلها أكوام من الحجارة.



الصورة 02: جدران من الدبش. عن: حملاوي، علي، 2001م.

والجدير بالملاحظة أن هذا المعلم رغم ما يحتويه من عناصر تنم عن انتمائها إلى العمارة الدينية مثل مخططه العام ووجود صحن فإن بعض الباحثين وفي مقدمتهم مارغريت فان بارشم اعتبروه مسكنا[9].

الضريح: تم الكشف عن بعض أجزاء بناية أخرى خلال عملية الحفر التي أجريت سنة 1997م، تتكون من غرفتين ضيقتين وغرفة مستطيلة الشكل، يتم الدخول إلى إحدى الغرفتين مرورا برواق، لم يكتشف كله بعد، عبر مدخل ضيق يعلوه قوس نصف دائري متجاوز يقدر ارتفاعه ب1.30م وعرضه 57سم، تتصل هذه الأخيرة بقاعة ثانية أقل حجما منها مغطاة مثل سابقتها بقبو منخفض جزئه العلوي مندثر.

---

[8]- VAN BERCHEM, M., 1953, pp. 123, 124.

[9]- حملاوي، علي، 2001م، عن: https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6480

وعلى الرغم من أنه لم تكتمل عملية الحفر في هذا المبنى حتى نستطيع تحديد وظيفته إلا أنه رأى الأستاذ المرحوم حملاوي أن هذا المبنى يشبه إلى حد ما في تكوينه العام وما يحتويه من بيوت ضيقة ومتشابكة، ضريح سيدي محمد بن يحي بتقرت، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأنه ضريح أقيم في وقت لاحق[10].

القصر أو المحكمة؟ (<u>الصورة 03</u>) نعتمد في هذه الدراسة على المخطط الذي وضعه faucher سنة 1942م، وأعادته مؤخرا مارغريت فان بارشم إذ يعتبر الوثيقة الوحيدة التي لدينا، فالمبنى في شكله العام عبارة عن مستطيل تبلغ مقاساته 60م×20م أحيط بسور مزود بأبراج، أما بالداخل فتخطيطه يتبع نفس التخطيط الذي نجده في العمارة الإسلامية في بلاد المغرب، ونعني بذلك الساحة المركزية وتتوزع حولها بنظام الغرف، وهذه الغرف ضيقة، ونلج إلى هذه الساحة عبر ممر من الناحية الشرقية وأدمج المدخل داخل إطار مستطيل يتراجع عن مستوى الجدار.



<u>الصورة 03:</u> المحكمة أو القصر؟
عن: VAN BERCHEM, M., 1954.

يتركب المدخل من 3 عقود حدوية، أوسعها العقد الأوسط، وترتكز هذه العقود على 4 أعمدة ذات أبدان أسطوانية الشكل منها اثنين أدمجا في الجدار، ويعلو هذه الأعمدة تيجان منحوتة ذات أطراف مقطوعة.

أما ما يشد الانتباه في هذا المبنى هو تلك القاعتين في الناحية الجنوبية ضيقتان، جهزت أركنها بحنيات على شكل صدفة وهذا العنصر المعماري في هذا الوضع دليل على أنه كان يستعمل كمنطقة انتقالية لتسقيف القاعات بالأقبية البرميلية، ومن المعروف أن طريقة الانتقال بالحنيات الركنية كان معروفا في القباب في بلاد المغرب منذ القرن الثاني الهجري وأحسن مثال على ذلك جامع القيروان[11].

البيت ذو الجرار: يقع هذا البيت في الناحية الشرقية للمدينة وسط بقايا الغابات، حيث تبدو جليا آثار السواقي والفقارات المنطلقة من هذا المكان والمتجهة شمالا نحو مدينة ورقلة، وشرقا اتجاه رويسات وجنوب-شرق في اتجاه قارة كريمة، ولقد كانت محل اهتمام الباحثة مارغريت فان بارشم خلال سنتي 1951م-1952م حيث أجرت حفريتين، دامت الأولى حولي خمسة عشر يوما، أما الثانية فبلغت مدتها حوالي شهرين، ولقد أسفرت هذه الأعمال عن اكتشاف جزء معتبر من مكونات هذا البيت، بالإضافة إلى كمية هائلة من القطع الجصة المزخرفة وقطع فخارية تزينها زخارف بسيطة وجرتين مختلفتي الأحجام، صنعت إحداهما من الطين المحروق ويقدر ارتفاعها بـ 1.70م. وتحتوي على 4 مقابض وغطاء تحتوي بداخلها على بقايا عظام وقطع زجاجية، أما الثانية فكانت ذات لون تركوازي تنتهي في مؤخرة عنقها

[10]- نفسه.

[11]- VAN BERCHEM, M., 1954, pp. 160, 162.

بضفيرة، وهي ذات مقبضين ينتهيان ببروز معقوف كما تم العثور على حلية من الفضة وأحجار لعقد امرأة وقنوات لتصريف أو جلب المياه.

وما تجدر الإشارة إليه أن الحفريات التي أجريت بهذا البيت لم تمس إلا الجهة الشرقية منه ومع ذلك كانت حصيلة الزخرفة المكتشفة قد بلغت 8 صناديق تم نقلها إلى الجزائر العاصمة.

كما يمكن أن نضيف إلى هذه المساكن، بيت يقع في الناحية الغربية للمدينة تم اكتشافه أثناء عمليات التنقيب التي قام بها الباحث طاري سنة 1881م ثم أعيد استخراجه من تحت المال من طرف مارغريت ف. بارشم سنة 1952م يأخذ المبنى شكلا مستطيلا غير منتظم الأضلاع يتم الدخول إليه عبر باب محوري فتح في الجدار الشمالي الشرقي، ويؤدي مباشرة إلى ساحة فسيحة يحيط بهذه الساحة من الجهتين الشرقية والغربية غرف وأروقة مستطيلة وضيقة، كما فتحت بالجدار الغربي وعلى ارتفاع 1.44م عن الأرضية حنيات مضلعة يعتقد أنها استخدمت كخزانات أو كأماكن لوضع وسائل الإنارة، وتتصل هذه القاعة بالغرفة التي تتقدمها بواسطة مدخل عرضه 1.19م وتعتبر هذه الأخيرة بمنزلة ساباطا (رواق) يطل على وسط الدار ببائكة من 3 عقود حدوية ترتكز على دعامات وأعمدة مدمجة تقوم على قاعدة مربعة ويعد الساباط من بين الأماكن الضرورية في البيت الصحراوي فيه يجتمع أفراد الأسرة وقت الحر وفيه تؤدى جميع الأغراض المنزلية[12].

الزخرفة الجصية (<u>الصورتين 04، و05</u>): جدران هذه القاعة كانت مغطاة في جزئها العلوي بزخرفة رائعة من الجص المنحوت وقد تميزت هذه الزخارف بتنوعها وكثرتها وهذا يشهد على فن راقي وسط الصحراء أي فن في مستوى عال بالمقارنة مع الفنون التي نعرفها عن الأعمال البربرية.



<u>الصورة 04:</u> قطعة جصية لتكسية جدران قاعة. عن: VAN BERCHEM, M.,1954.



<u>الصورة 05:</u> تلبيسة جدران مزينة بكتابة كوفية (بركة). عن: VAN BERCHEM, M.,1954.

[12]- VAN BERCHEM, M., 1954, pp. 164, 165.

ومعظم هذه الزخارف عثر عليها متناثرة على الأرضية في قطع تحت الرمال ولم يبق إلا بعض الحشوات حول أطر الأبواب والأواوين إذ تصل إلى غاية الأرضية بينما يظهر بأن الجدران كانت تزخرف في قسمها العلوي في حين يكون القسم السفلي مزخرف بحشوات ملساء تكون في بعض الأحيان محاطة بإطار منحوت أو تقطع الجزء السفلي بشكل عمودي أشرطة محدبة. والجدير بالذكر هذا الأسلوب في الزخرفة لا يزال متبع في مدينة الواد بحيث يستعمل الفنانون أدوات صغيرة من الخشب أو الحديد يصنعونها بأنفسهم وتغطي الزخرفة عندما يتم نحتها بماء الكلس.

كما نجد بنيقات هذه العقود مزخرفة بوريدات كبيرة تبرز على أرضي من الثقوب المحفورة بعمق، وقد استعملت هذه الثقوب بمثابة مهاد لتركيبات كبيرة أو استعملت كحواف، ويبلغ عمقها من 2سم إلى 0.5سم، وهي محفورة بطريقة مائلة.

أما العقود فقد كانت محاطة بشريط رائع استطعنا تركيبه وعلى احد هذه الأشرطة نرى زخرفة نباتية ملتفة تتركب من سيقان وأوراق ثلاثية الفصوص وتظهر أنها مشتقة من ورقة العنب وسويقاتها تنحني لتنغلق على شكل حلقة ويشير مارسيه تشابهها مع النماذج الموجودة في الزخرفة القبطية بمتحف الفن القبطي بالقاهرة. زخرف الشريط الثاني بثقوب تحف بسلسلة من أشكال ملتفة تدخل في زخرفة باطن العقد، والزخرفة على شكل أنبوب الأرغن تذكرنا بالمساند الخشبية الموجودة بمسجد قرطبة (القرن9م) وهذا الأسلوب شائع الاستعمال في العمارة المغربية[13].

ومن الصعب وصف كل الحشوات التي تم العثور عليها لذلك سوف نقتصر على وصف أهمها وأكثرها أصالة، وتتمثل الزخرفة في التوريقات التي تمثلها أنصاف مراوح نخيلية ملساء، بالإضافة إلى صفوف من العقود المزينة بزخرفة نباتية حلزونية ويتوجها عقد على شكل حدوة الفرس، كما تظهر أنصاف المراوح النخيلية، وكذلك أشكال الورود كبيرة وأشكال اسطوانية مدمجة في مربعات أو مستطيلات، وتتكرر هذه العناصر، ولكن بأحجام أصغر فاصغر داخل دوائر ومعينات، يمكن تأريخها فيما بين أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري[14].

ويمكن حصر العناصر الزخرفية التي ظهرت على الكسوات الجدارية في مدينة سدراته كما يلي:

- زخرفة كتابية من الخط الكوفي، وهي تشبه إلى حد كبير الكتابات التي وجدت بالقيروان.
- أشكال هندسية بسيطة تنبثق معظمها من المربع أو الدائرة.
- زخارف نباتية تمثلت في الورود وأنصاف المرواح النخيلية.

ويلاحظ أن التوريقات لا تتصل فيما بينها كما نلاحظ ندرة الأشكال الحلزونية، فالعنصر النباتي يعتبر فقيرا في زخرفة سدراته، كما نجد زهرة كبيرة تشبه زهرة الربيع تمتد على شكل وردة فرغت فصوصها، إذ تظهر كقنوات تشعع حول صدفة، وتنفصل هذه الفصوص عن المركز في بعض الأحيان، ومن التوريقات

13- VAN BERCHEM, M., 1964, pp. 08-09.
14- VAN BERCHEM, M., 1964, p. 09.

المستخدمة في هذه الزخرفة النباتية توريق يمثل ورقة غير متناظرة الفصين، وورقة متناظرة ثلاثية الفصوص، ويعتقد مارسيه بأنها تمثل ورقة عنب محورة، وتشبه هذه الزخرفة الزخرفة القبطية المنحوتة في الخشب والحجر والتي يحتفظ بها المتحف القبطي.

إن غنى وتنوع الزخرفة الجدارية التي اكتشفت في سدراته تشهد على حضارة إن لم تكن راقية فهي على أية حال لم تكن متوقعه، إذ وجدت في منطقة صحراوية وفي مكان يقطنه مسلمون بسطاء، تميزوا بالزهد في الحياة والتقشف في العيش، والسبب في هذا التباين يرجع إلى أسلوب سبق وأن رأيناه في الحضارات السابقة للإسلام، وكذلك في الفترة المبكرة للإسلام، وهو إخفاء مادة البناء الخشنة تحت كسوة من الجص، فقد ثبت من البحث الأثري، أن جميع عمائر سدراتة مبنية بالدبش في حين غشيت الجدران بالجص رمادي اللون والذي يطلق عليه محليا "تمشنت"، وتزدان هذه الكسوة بعناصر زخرفية في القسم العلوي للجدار الذي يأتي مباشرة بعد الإزار، وتحيط الأشرطة الزخرفية بالأبواب بحيث تصل حتى الأرضية. ومن الجدير بالذكر أن القسم المزخرف من الجدار يبرز عن القسم العاطل من الزخرفة، وهذا الأسلوب يشبه الأسلوب الذي اتبع في مسجد ابن طولون[15]، والجدير بالذكر أيضا، أن هذا الأسلوب ما زال متبعا في مدينة الوادي بالجزائر.

أما الطريقة التي استخدمت في تنفيذ الزخارف فهي طريقة تشبه إلى حد ما طريقة الكشط، ذلك أن النحت يتم على مستويين فتبرز العناصر الزخرفية عن الأرضية بحوالي 2سم، وعلى هذا الأساس تظهر بعض العناصر واضحة والبعض الأخر في الظلام، وهذه الطريقة تستعمل عادة في الحفر في الخشب في المناطق الجبلية، كما عثر على نفس الطريقة في معالم قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والخامس الميلاديين في تقزيرت وتبسة ومنطقة الأوراس.

وهكذا اعتبر الباحثان تاري وبلانشي أن فن سدراته قد تأثر بالفن المسيحي في إفريقيا أما مارسيه فيعتبره متأثرا بالفن القبطي بمصر، والحقيقة، من الصعب تحديد خصائص الزخرفة قبل أن يكشف النقاب عن جميع هذه الأثار[16].

يتجلى في الزخرفة الجصية بسدراته موهبة الفنان في تنويع التشكيلات الزخرفية، هذا مع الإحتفاظ بوحدة المجوعة، والنجاح في تكرار نفس العناصر الزخرفية على نحو يبعها عن الرتابة. وعلى الرغم من تجرد الزخارف من سماتها الطبيعية إلا أنها تظهر كما لو كانت تنبض بالحياة.

يعتبر هذا الفن أصيل، إذ لا نستطيع ربطه على الأقل في الوقت الحالي إلى أي فن نعرفه، لذلك فلا يجب أن نجري مقارنات بين الكسوات الجصية المنحوتة في المشرق والمغرب على المباني الإسلامية والتي ترجع إلى نفس الفترة أو تسبقها، ولا يمكننا معرفة حقيقة هذا الفن إلا بدراسة شاملة له، حيث أن النتائج التي توصلنا إليها جاءت بدراسة قطع عثر عليها في قاعة، بينما آثار سدراته تمتد على مسافة

[15]- ALBEROLA, C., 1956, pp. 11, 12.
[16]- Ibid., p. 12.

أكثر من 2كلم^2، والواقع أنه رغم الجهود التي بذلها الباحثون لكشف النقاب عن هذه المدينة، فإن الأبحاث لم تنجح في تسليط الأضواء إلا عن جانب محدد من جوانب تلك المدينة التي ما زالت متوارية في باطن الأرض.

قائمة البيبليوغرافيا:

1. ابراهيم بن صالح بابا حمو اعزام، 2013م، غصن البان في تاريخ ورجلان، تحقيق ابراهيم بحار وسليمان بن محمد بن معقل، دار العالمية، الجزائر، ط1.
2. حملاوي، علي، 2001م، « آثار الدولة الرستمية بالجزائر– مدينة سدراتة الأثرية »، مجلة العربي، 517. عن: https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6480

3. AILLET, C., 2016, « La dame de Sedrata: retour sur l'entreprise archéologique de Marguerite Van Berchem (1946-1965) », in ikosim, 5, pp. 93-124.
4. ALBEROLA, C., 1956, L'art des kharijites de Sedrata, mémoire secondaire pour le diplôme d'études supérieures, université d'Alger, facultés des lettres.
5. BOUROUIBA, R., 1972, L'art musulman en Algérie, Alger.
6. MARCAIS, G.; LAMARE, D., 1946, «Recherches d'archéologie musulmane, Tihert-Tagdempt», in Revue Africaine, XC, pp. 24-57.
7. SALADIN, H., 1907, Manuel d'art musulman, 1. L'architecture, Paris.
8. VAN BERCHEM, M., 1953, « Deux campagne de fouilles à Sedrata (1951-1952) », in Travaux de l'institut des recherches sahariennes, X, pp. 123-138.
9. VAN BERCHEM, M., 1952, « Deux campagne de fouilles à Sedrata en Algérie », in CRAI, 96-2, pp. 242-246.
10. VAN BERCHEM, M., 1964, « Palmettes, rosaces et bordures dans les décors de Sedrata », in Eretz Israël (in memoriam L. A. Mayer), VII, pp. 06-16.
11. VAN BERCHEM, M., 1954, « Sedrata. Un chapitre nouveau de l'histoire de l'art musulman, campagnes de 1951et 1952 », in ARS ORIENTALIS, The arts of islam and the East, I, pp. 157-172.